جامعة الملك سعود
King Saud University

King Faisal PRIZE

بحوث
المؤتمر الدولي الثالث

(المنجز العربي اللغوي والأدبي في الدراسات الأجنبية)

٢٤-٢٦/٠٣/١٤٤٢هـ، الموافق ١٠-١٢/١١/٢٠٢٠م

بحوث علمية محكمة

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب
بالتعاون مع جائزة الملك فيصل

King Faisal
PRIZE

جامعة الملك سعود
King Saud University

بحوث علمية محكمة

المؤتمر الدولي الثالث

(المنجز العربي اللغوي والأدبي في الدراسات الأجنبية)

٢٤-٢٦/٠٣/١٤٤٢هـ، الموافق ١٠-١٢/١١/٢٠٢٠م

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، بالتعاون مع

جائزة الملك فيصل

ⓒ جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية، ١٤٤٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها
بحوث المؤتمر الدولي الثالث (المنجز العربي اللغوي والادبي في الدراسات الأجنبية). / جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها، جائزة الملك فيصل - الرياض ١٤٤٢ هـ

٩٧٨ ص، ٢١x٢٩.٧ سم

ردمك: ٥-١١-٨٢٧٥-٦٠٣-٩٧٨

١- اللغة العربية - بحوث ٢- اللغة العربية - مؤتمرات ٣- الأدب العربي - بحوث أ. جائزة الملك فيصل (مؤلف مشترك) ب. العنوان
ديوي ٤١١،٧ ١٤٤٢/٢٠١٠

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٠١٠
ردمك: ٥-١١-٨٢٧٥-٦٠٣-٩٧٨

المحتويات

البحوث	الصفحة
مقدمة رئيس المؤتمر	
معجب بن سعيد العدواني	
إشكاليات اللزوميات: نحو قراءة جديدة لمشروع أبي العلاء المعري الشعري- لزوم ما لا يلزم قافية الدال مع الباء نموذجًا	
سوزان بينكيني ستيتكيفيتش	١١
قصيدة البردة في الدرس الاستشراقي	
حسن البنا عز الدين	٤١
مكانة الشاعر في العصر الجاهلي - وجهة نظر شرقية	
راشد بن مبارك الرشود	٦٧
المستشرقون وإشكاليات تلقي الشعر العربي القديم: ريجيس بلاشير والمتنبي نموذجًا	
عبد القادر محمد بن الحسون	٨٩
التراث اللغوي العربي من منظور غربي: حدوده وآفاقه	
Jonathan Owens	١١٣
المصطلح النحوي العربي عند الأجانب: برجشتراسر وهنري فليش أنموذجًا	
عبد الله محمد زين بن شهاب	١٣١
الموقف من الأنموذج النحوي العربي في الدراسات الفرنسية المعاصرة	
محمد خاين	١٥٩
جهود اللساني الفرنسي جورج بهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي	
محمد التاقي	١٨٥
كتاب «سيبويه في الدراسات الغربية المعاصرة» (ميكائيل كارتر نموذجًا)	
محمد الوحيدي	٢٠٧
قراءة شارل بلا لنثر الجاحظ	
محمد مشبال	٢٣٣
الفكر خارج ذاته أو رأيان في تجنيس المقامة	
بسمة عروس	٢٤٥
موقف كراتشكوفسكي من إحدى الدراسات في مجال الآدب العربي القديم	
رفيقة بن ميسية	٢٦٧
ألف ليلة وليلة رؤية فرنسية	
سلوى خالد الميمان	٢٨٧
الجاحظ بين المقاربة الاستشراقية والمقاربة المقارنتية	
مسالتي محمد عبد البشير	٣٠٣
قضايا وتحديات في ترجمة كتاب مائة ليلة وليلة من اللغة العربية إلى اللغة اليابانية	
أكيكو سومي	٣٣٣
السيرة الذاتية العربية في الدراسات الأجنبية	
أمل بنت محمد التميمي	٣٤٩
نقل الحكايات العربية القديمة إلى لغة الهوسا بين الترجمة والتوطين	
طاهر لون معاذ	٣٨٧
جهود المستشرق الفرنسي أندريه ميكيل في دراسة الأدب العربي	
منال بنت عبد العزيز العيسى	٤٠٥
النقد المقارب: تمفضلاته ورهاناته في دراسة الأدب العربي عند الباحثة البلغارية بيان ريحانوفا	
نادية هناوي	٤٢٧
رسائل علمية حول الأدب العربي في كلية الإلهيات جامعة أولوداغ - دراسة تحليلية لنماذج مختارة	
إسلام ماهر عمارة	٤٤٩

رئيس المؤتمر

أ. د. معجب بن سعيد العدواني

رئيس اللجنة العلمية

أ. د. محمد بن عبد الرحمن الهدلق

أمين اللجنة العلمية

أ. د. يوسف بن محمود فجال

أعضاء اللجنة العلميّة

أ.د. إبراهيم بن سليمان الشمسان

أ.د. بسمة محمد الناجي عروس

أ.د. صالح بن معيض الغامدي

أ.د. خالد بن عبد الكريم بسندي

أ.د. مها بنت صالح الميمان

د. عبد الرحمن بن عبد الله الفهد

التحرير

د. عبد الرحمن بن سعود الغنيم

أ. عبدالله بن عبدالوهاب العمري

العنوان:

ص. ب: ٢٤٥٦ - الرياض: ١١٤٥١

هاتف: ٠١١٤٦٧٥١٠١

فاكس: ٠١١٤٦٧٥٠٩٤

البريد الإلكتروني:

as.de.usk@cibara.awdan

البحوث	الصفحة
المنجز العربي النحوي عند بروكلمان ■ حنان محمد أحمد أبو لبدة	٤٨٣
العربية في العربية ليوهان فك: المفهوم والإجراء ■ خالد بن عبد الكريم بسندي	٤٩٩
إنجازات المستشرقين في نشر التراث اللغوي ودراسته وأثرها في الإنجازات العربية بعدها ■ عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد	٥٢١
الأنظمة اللغوية للعربية – قراءة في منهج أندري رومان ■ يوسف محمود فجال	٥٤٩
أندريه ميكيل وجهوده في التعريف بالأدب والثقافة العربيين ■ حسن الطالب	٥٧١
الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية ■ حمد بن سعود البليهد	٥٨٩
مفهوم السيرة الذاتية الغربي وأثره في تلقي الغربيين للسيرة الذاتية العربية ■ سمية عابد العدواني	٦٠٣
صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب المستشرق الروماني كونستانس جيورجيو ■ عادل علي محمد الصيعري	٦٢٣
الأسس القرائية في كتاب (الوصف في الشعر العربي الكلاسيكي) للباحثة اليابانية أكيكو سومي ■ عبد العزيز بن عبد الله الخراشي	٦٣٧
سوزان ستيتكيفيتش والقصيدة العربية المدحية ■ مستورة مسفر محمد العرابي	٦٥٥
التحليل النقدي للاستعارة في الخطاب القرآني مراجعات في دراسة جواناثان كارتريز ■ عيد علي مهدي بلبع	٦٧٩
كتاب سيبويه بين المقتضى المعرفي والمقتضى الكوديكولوجي في الدراسات الغربية ■ البشير التهالي	٧١٩
تناظر العلة النحوية عند سيبويه – مقالة (عشرون درهمًا في كتاب سيبويه) ل م. كارتر أنموذجًا ■ عائشة خضر أحمد هزاع	٧٤١
علم الدلالة العربي في منظور المستشرق الهولندي كيس فرستيخ ■ كيان أحمد حازم	٧٥٩
منجز العلامة عبد العزيز الميمني اللغوي والأدبي ■ ناصر الرشيد	٧٨٧
محاولة ألسنة النحو العربي جوناثان أوينز أنموذجًا ■ يحيى بن أحمد عبد الله اللتيني	٨١١
تلقي الأدب العربي القديم في الاستشراق الروسي (إغناطيوس كراتشوفسكي أنموذجًا) ■ حبيب بوزوادة	٨٣٣
المنجز الأدبي العربي في كتابات الأكاديمي الفرنسي المعاصر أندريه ميكيل ■ حسين تروش	٨٥٣
تلقي المستشرقين الجدد للشعر العربي القديم ■ محمد بن عبد الله منور	٨٧٩
البلاغة العربية في الدراسات الأردية ■ محمد وسيم خان	٨٩٥
سؤال الرواية العربية ونمط القراءة في نقد روجر آلن ■ نضال محمد فتحي الشمالي	٩٣٧
دراسة مصطلحات أدوات الثقافة المادية العربية في أعمال البروفيسور أجيوس ■ محمد ظافر صالح الحازمي	٩٥٥

كتاب سيبويه بين المقتضى المعرفي والمقتضى الكوديكولوجي في الدراسات الغربية

مقاربة لأعمال الباحثة الفرنسية جنفييف هامبير[١]

البشير التهالي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر بأكادير

ملخص

يكتسي عمل الباحثة الفرنسية «جنفييف همبير» صبغة حاسمة في تشكيل الوعي بحاجة كتاب سيبويه إلى تلق جديد يتخذ الكوديكولوجيا مدخلا أساسيا لإعادة بناء النسخة المثلى للكتاب. وقد طوت أعمالها على دراسة كوديكولوجية وباليوغرافية واسعة ودقيقة لكتاب سيبويه، بعدما وقفت على أزيد من سبعين نسخة مخطوطة من الكتاب، من مختلف أنحاء العالم، أخضعتها لتصنيف تاريخي يبين العلائق الجامعة بين هذه النسخ من جهة القرابة النصية والروايات التي حمل بها الكتاب في البيئات العربية الإسلامية المختلفة. وقد كان مسعاها قائما على تتبع الخطوط الممكنة للوصول إلى النسخة التي تستجمع النص الأول لكتاب سيبويه، في درجات مقبولة علميا. وتكمن خطورة عمل «جنفييف همبير» في النتيجة التي انتهت إليها ومفادها أن كتاب سيبويه كما نعرفه اليوم محققا على يد لغوي عربي كبير هو الشيخ عبد السلام هارون، فضلا عن الطبعة الغربية الأولى على يد «هارتفيغ ديرنبورغ»، لا يمثل كتاب سيبويه كما يحتمل أن يكون عليه أول تأليفه، الأمر الذي قد يزري بكل النتائج العلمية التي بنيت على هاتين الطبعتين الرئيسيتين وعلى الطبعات المتفرعة عنهما، في باب الدراسات النحوية العربية. وتتطلب هذه الوضعية حسب نتائج دراسة الباحثة إعادة تحقيق للكتاب تأخذ بالاعتبار المدخل الكوديكولوجي المومأ إليه. على أن هذه المهمة تبدو بعيدة المنال في ظل الغياب الصارخ لهذا المبحث من جملة مباحث دراسة المخطوطات في العالم العربي.

كلمات مفتاحية

كتاب سيبويه، الكوديكولوجيا، الباليوغرافيا، نقد النص، تاريخ النص.

---

(١) أنجز هذا البحث بدعم من مشروع SICLE، بمؤسسة Collège de France بباريس، حيث يشتغل الباحث بإعداد دراسات متصلة بالكتاب العربي المخطوط. وعليه، يتوجه الباحث بالشكر إلى المشرف على المشروع: البروفسور François Déroche أستاذ كرسي تاريخ القرآن الكريم بالكوليج دوفرانس.

تمهيد

يكفي قول أبي عمر صالح بن إسحاق الجرمي (ت. ٢٢٥ هـ): «أنا مذ ثلاثون أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه»[١] للدلالة على قدر الكتاب من جملة كتب التراث الإسلامي عامة، والتنبيه على حيثيته المتميزة، من جهة استئثاره بهيئة خاصة من التكامل بين العلوم التي أنتجتها الثقافة الإسلامية في مرحلتها التاريخية المبكرة، على اختلاف موضوعاتها ومطلوباتها. كان كتاب سيبويه، بما بثه فيه صاحبه من قضايا واستدلالات ومفاهيم مستوفيا لأصول النظر العقلي في أعلى درجات استوائها واكتمالها، وقد جرى استيحاؤها من بيئة علمية أصيلة المأخذ، مشرعة الأفق، ينتظم تياراتها المتنوعة استئناف بناء العقل العربي الإسلامي الذي أرسى قواعدَه المجملةَ القرآنُ الكريمُ والمعرفةُ التأسيسية الأولى التي دارت حول معانيه وبيانه وعلومه.

ولعل هذا الاعتبار هو الذي فهمه أهل العلم حين سمعوا قول الجرمي الموهم بأن كتاب سيبويه مصنف في الفقه، حسبما أورده الزبيدي مسندا إلى محمد بن يزيد: «وذاك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه، تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش»[٢].

وعلى ذلك فمن الطبيعي ألا تلتمس قيمة كتاب سيبويه من ريادته للتصنيف النحوي فحسب، بل في محله المؤثر والملهم لكل العلوم العربية الإسلامية التي دونت بعده، وكان أسلوبه في البحث والإيراد والتنزيل هاديا لها أحيانا كثيرة. ونحسب أن فيما ذكرناه مقتضباً، ما قد يسعفنا في إدراك بعض البواعث التي قادت الدارسين في الغرب إلى كتاب سيبويه، باعتباره نصّاً مؤسِّساً يستوفي أسباب قوة الفكر العربي الإسلامي، ويستضمر أكثر آلياته الجديرة بالاقتطاف والاستمداد والإعمال في سياقات ثقافية جديدة.

ونحن نحتبس على هذا الباعث، نأياً عما يُرْمى به، عادة، إقبالُ الدارسين الغربيين على ثمار الحضارة العربية الإسلامية من شُبَهٍ استشراقية لا يعكسها، في مقامنا، اهتمامُهم بكتاب سيبويه، ولا سبيل إلى تبينها، حسب اطلاعنا، فيما أخذوا به الكتاب من صور تقبلٍ كانت سبباً مباشرا لإعادة الوصل بين الثقافة العربية الإسلامية في العصر الحديث وبين كتابٍ جامعٍ لنحو اللسان والعقل كليهما.

ولدى متابعتنا لمأتى كتاب سيبويه في الثقافة الغربية، أمكننا أن نقف على أربع محطات كبرى؛ تمثلت الأولى منها في تحقيق الكتاب وإخراجه إلى الناس مطبوعا أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨١-١٨٨٩) على يد الفرنسي «هارتفيغ ديرينبورغ»[٣]، اعتمادا على ست نسخ خطية. والثانية في ترجمته إلى اللغة الألمانية مما نهض به «جوستاف يان» G. Jahn، الذي ظهر عمله بين سنتي ١٨٩٥-١٩٠٠[٤]. وهذه الترجمة من الأعمال العلمية الكبرى التي استندت إلى

---

(١) الزبيدي، أبو بكر. **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤، ص. ٧٥.

(٢) **نفسه**.

(3) Hartwig Derenbourg. *Le livre de Sībawayhi*. Traité de grammaire arabe, par Sīboūya, dit Sībawayhi. Paris: imprimerie national, Tome 1. 1881, Tome 2. 1889.

(٤) رمضان، عبد التواب. **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٥، ص. ٥٧.

معرفة مكينة بأسرار العربية وتحققٍ بلغة سيبويه ومذهبه في تأدية المعاني النظرية، كما تجليا في المتن الذي حققه «ديرنبورغ» بخبرة وحذق ظاهرين.

والمحطة الثالثة تتمثل في الفهارس العلمية التي صنعها الفرنسي «جيرار تروبو»(1)، محققا نية «ديرنبورغ» التي أعلن عنها في تقديمه للجزء الثاني من كتاب سيبويه، وحالت وفاته دون إنجازها. وكان طبع هذه الفهارس معينا على تقريب مادة الكتاب وتيسير المدخل إليه.

والمحطة الرابعة هي التي عليها مدار هذا البحث، وفيها أصدرت الباحثة الفرنسية «جنفييف همبير» كتابها **طرق نقل كتاب سيبويه**(2)، الذي ساءلت فيه متن كتاب سيبويه، انطلاقا من نسخه المخطوطة المحفوظة في مختلف خزانات العالم، قصد الوقوف على تاريخ حقيقي للنص، تُلْتمس به الحلول للمشكلات التي اقترنت بالطبعات المشهورة للكتاب (ديرنبورغ، كلكوتا، بولاق، هارون)، وجعلت تَمَثُّلَ مواده واستثمارَها بعيدين عن مقتضى النص في صورته المطلوبة.

١. كتاب سيبويه والحاجة إلى تاريخ للنص

١.١. نقد الطبعة الأساسية للكتاب.

انطلقت الباحثة الفرنسية «جنفييف همبير» في اشتغالها بكتاب سيبويه من المقارنة بين طبعاته المنجزة منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبين رصيد وافر من النسخ المخطوطة بلغ عددها سبعا وسبعين نسخة موزعة على خزانات عربية وغربية. فكان أن اكتشفت أن النص الذي توهمنا الطبعات بصحته واكتماله ودقته لا يعكس حقيقة كتاب سيبويه كما تعرب عنها نسخه الخطية. وفي هذا المعنى تقول: «إن الكتاب أقل استقرارا كما لا توحي بذلك طبعاته. لقد شهد النص حالات متعاقبة يمكننا، جزئيا، أن نضع لها حدودا زمانية ومكانية. للكتاب تاريخ مُرَكَّب، تشهد عليه نسخُه بحدة، يبتدئ من وفاة سيبويه منذ أزيد من ألف سنة إلى أن جرى طبعه أخيرا»(3).

وللاستدلال على ذلك تضع الباحثة عمل «ديرنبورغ»، وهو أول وأهم طبعة نقدية كاملة للكتاب(4)، موضع اختبار ومراجعة، للوقوف على قيمة القاعدة الخطية التي كان بها اعتداده، وصورة تصريفه لها، في مجرى إقامته للنص. وقد تنبهت إلى أن النسخ التي استند إليها المحقق يمكن تقسيمها أربعة أقسام: يضم الأول أربع نسخ رمز إليها

---

(1) Troupeau Gérard. *Lexique-index du Kitāb de Sībawayhi*, Paris: Editions Klincksieck, 1976.

(2) Humbert Geneviève. *Les voies de la transmission du Kitāb de Sībawayhi*, Leiden: E. J. Brill, 1995.

(3) *Ibid*, P. 27.

(٤) يشير "ديرنبورغ"، في مقدمة الجزء الأول من تحقيقه إلى أنه كان مسبوقا في ذلك بعمل جزئي اضطلع به Silvestre de Sacy سنة ١٨٢٩، حين أثبت في كتابه **"الأنطلوجيا النحوية"** ثلاثة عشر بابا من نسخة باريس التي أثار انتباهه إليها تلميذه Étienne Marc Quatremère (ت.١٨٥٧).

Voir : Derenbourg Hartwig. *Le livre de Sībawayhi : Un traité de la grammaire arabe*, Introduction, P. 42.

بالرموز: A, B, C, L. كانت تحت يديه، فأجرى المقارنة بينها بنفسه. ويضم الثاني ثلاث نسخ رمز إليها بالحروف: E, F, G، ذكر المحقق أنه لم يطلع عليها عيانا، وأن محافظ الخزانة الخيديوية آنذاك عرفه بها، وبعث إليه أوصافها، مع لائحة جامعة للفوارق بينها، من أول كتاب سيبويه إلى الباب الخامس والأربعين. وقد أثبت «ديرنبورغ» هذه المعلومات المرسلة إليه في محلها من هامش المقابلة. القسم الثالث يستوفي أربع نسخ رمز إليها بالحروف: D. H. M. O، أولاها شرح الرماني على الكتاب، والثانية شرح السيرافي والأخيرتان من شرح الأعلم الشنتمري المسمى: **تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب**. وكونها شروحا يبعدها عن تمثيل النص في هيئته التامة التي اصطفاها سيبويه، وإن كانت «همبير» لا تنكر أهمية الشروح المذكورة في تذليل كثير من عقبات القراءة. أما القسم الرابع فتَمْثُل فيه نسخة وحيدة رمز إليها بحرف N، قابل بها المحقق بعض أبواب الجزء الثاني من الكتاب، من غير تعريف بهويتها. وقد رجحت «همبير» أن تكون نسخة من أحد شروح الكتاب عثر عليها بعد صدور الجزء الأول.

تستنتج الباحثة من هذا التصنيف أن القاعدة الخطية الحقيقية التي انطلق منها «ديرنبورغ» لا تعدو النسخ الأربع الأولى التي لم يُعْمِل منها بشكل كامل إلا النسختين الحاملتين لحرفي A و B. كانت النسخة A المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: ٣٩٨٧، هي النسخة الأولى التي أتيحت للمحقق، وهي غير حاملة لتاريخ ومكان النسخ، بيد أن «ديرنبورغ» قدر الأول بالقرن الثامن للهجرة، والثاني ببلاد الشام، اعتمادا على معطيات مادية تتصل بطبيعتي الكتابة والورق، وهي نفس المعطيات التي بنت عليها «جنفييف همبير»، فيما بعد، نفيها لهذا التاريخ، وإثباتها حداثة النسخة التي لم يحسن «ديرنبورغ» استثمار العناصر الكوديكولوجية والنصية المضافة إليها للوصول إلى الأصل الذي انحدرت منه النسخة، وإحلالها في مجرى تاريخي يبين أهميتها وجدارتها بالاعتماد الكلي في إخراج الكتاب.

وفي شأن النسختين B وC المحفوظتين في «سان بيترسبورغ»، فالأولى متأخرة يعود نسخها إلى سنة ١١٣٨ هـ، أسقط منها الناسخ فقرات وأسطراً كثيرة، والثانية نسخت سنة ٥٤٧ هـ، غير أنها لا تضم سوى النصف الأول من الكتاب، وهي منقولة عن أصل مقروء على ابن جني سنة ٣٨٩ هـ. أما النسخة المرموز لها بحرف L فهي من النسخ الأندلسية المحفوظة بمكتبة دير الإسكوريال، مؤرخة بسنة ٦٢٩ هـ[١]، ولم يطلع عليها المحقق إلا بعد إنهائه الجزء الأول من الكتاب. يتضح من خلال ما ذكر أن النسخة التي أسعفت «ديرنبورغ» على نحو قريب من التمام، من غير قطائع مخلة، هي النسخة A، وأن انتفاعه بسائر النسخ المذكورة قد لا يعدو الاستئناس والاستدعاء المرحلي[٢].

تقر «جنفييف» بقيمة طبعة «ديرنبورغ» من طريقين: إقامة المتن، حيث حاول المحقق الوفاء للرواية التي تنحدر منها النسخة التي اعتمدها أصلا؛ وهامش المقابلة الذي جمع فيه قدرا كبيرا من الاختلافات، تشهد على الصعوبة

---

(١) ينظر وصفها في:

Derenbourg Hartwig. *Les manuscrits arabes de l'Escurial*, Paris : librairie de la société Asiatique, 1884, Tome 1, PP. 1-2.

(2) Humbert Geneviève. *Les voies de la transmission*, op. Cite. P. 30.

التي واجهها «ديرنبورغ» في سبيل الانتهاء إلى نص يطمأن إليه. ومن أسباب الأهمية القصوى لهذا الهامش، تعتد الباحثة بكونه يمثل صورة مقابلة للرواية التي أثبتها المحقق في متن الكتاب. وعليه فإن العمل يُمَكِّننا من تبين الروايتين الأساسيتين للكتاب: المشرقية والمغربية، عن طريق المقارنة بين المثبت في المتن والمثبت في هامش المقابلة. وتعترف الباحثة أن عمل «ديرنبورغ» يمكن اعتباره قاعدة مرجعية للمقابلة لا بديل عنها لفحص كل نسخة جديدة من كتاب سيبويه[1]. وعلى ذلك فإن جهد الباحثة ينطلق من نتائج هذا العمل، في سبيل بناء تاريخ لنص كتاب سيبويه، تميز فيه بين روايتيه الأساسيتين: المشرقية والأندلسية، وتصنف بناء عليهما النسخ الوفيرة التي استطاعت معاينتها، اعتمادا على إفادات كوديكولوجية وباليوغرافية[2] مفصلة ودقيقة.

وأول نسخة تعرضها للفحص بهذا المنهج هي النسخة الأساسية لديرنبورغ المرموز لها بحرف A، وقد عادت إليها في محل حفظها من المكتبة الوطنية بباريس. وعن طريق المقارنة بينها وبين النسخ المحفوظة في خزانات إسطنبول، وأهمها السليمانية، تبين للباحثة أن تسعا منها يمكن اعتبارها توائم لنسخة باريس؛ ففضلا عن تشابه محتواها، فإن مظاهرها الكوديكولوجية والباليوغرافية تكاد تكون متطابقة؛ ونعني بها أبعاد الكتاب، وعدد صفحاته، وعدد الأسطر في كل صفحة، وطبيعة الورق وعلاماته المائية، وإعداد الصفحة والعلامات الخطية، وطريقة استعمال المداد الأحمر، وسوى ذلك.

وفي قراءة الباحثة لهذه العناصر، تخلص إلى أن نسخة باريس لا يمكن أن تعود إلى الزمن الذي قدره «ديرنبورغ» وهو القرن الثامن للهجرة. فالورق يحمل علامات مائية ذات أسلوب غربي مصحوبة بمميزات اشتهر اقترانها بالعلامات المائية الفرنسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. وتعزيزا لهذه النتيجة تلجأ الباحثة إلى عرض النسخة الباريسية على توائمها التركية التسع المشار إليها، وجميعها مؤرخ في النصف الأول من القرن الثامن عشر، فتجد أنها تشترك في نفس الرواية المتصلة بأبي علي الفارسي عبر الزمخشري، مما يؤكد أن نسخة باريس لا تشذ في تاريخ نسخها عن الفترة الواقعة بين ١١٤٠ هـ و١١٥١ هـ. وفوق ذلك، فقد وجدت الباحثة أن هذه المجموعة المتجانسة في النص

---

(1) *Ibid*. P. 33.

تنظر دراستها المفصلة لطبعات كتاب سيبويه، ومن بينها الطبعتان المصريتان: بولاق وعبد السلام هارون اللتان لم تعدوا عند الباحثة إعادة نشر لعمل "ديرنبورغ" أخلت في كثير من الأحيان بمنطقها ونظامها.

Humbert Geneviève. *Remarques sur les éditions du Kitāb de Sībawayhi et leur base manuscrite*, Studies in history of arabic grammar 2, Amsterdam/Philadelphie, 1990.

(٢) يقصد بالكوديكولوجيا في التقاليد الغربية العلم الذي يهتم بجمع كل المواد التي تمكن من بناء تاريخ للكتاب المخطوط. ويختص علم الباليوغرافيا على وجه التحديد بدراسة الخطوط المستخدمة في الكتب المخطوطة، وتحليلها لغاية رصد أنماطها وتحولاتها التاريخية.

ينظر للتوسع: ديروش، فرانسوا. **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان، ط٢، ٢٠١٠، ص. ٥٣.

Déroche François, *Le livre manuscrit arabe: prélude à une histoire*, Paris: Bibliothèque nationale de France, 2004.

وينظر: جاسك، آدم. **تقاليد المخطوط العربي: معجم ومصطلحات وبيليوغرافية**، ترجمة: مراد تدغوت، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ط١، ٢٠١٠.

والشكل والرواية تنحدر من أصل عثرت عليه في محافظة «جوروم» التركية، مؤرخ بسنة ٦٤٧ هـ، جرى اكتشافه في القاهرة حيث كان يتداول في القرن الثامن عشر الميلادي، قبل أن يؤول إلى محله الحالي(١).

كان اكتشاف هذا الأصل، في عرف الباحثة، حدثا كبيرا، ترتبت عليه حركة نسخ واسعة للكتاب، في ورشة خاصة، وكانت النسخة الباريسية إحدى ثمارها، وقد جرى إنضاجها على نحو من السرعة تطلبت تقسيم العمل على أربعة نساخ، تكفل كل منهم بكراسة؛ مما يفسر تفاوت أجزاء نسخة باريس في الشكل وفي عدد التعليقات الخارجية الثابتة في الأصل المنتسخ منه، وإن كان حرصهم على محاكاة خط الأصل موهما بأن العمل قد تم بيد واحدة.

ولعل النتيجة الأساسية لهذه المقارنات أن ما نعرفه اليوم عن كتاب سيبويه سواء في طبعة «ديرنبورغ»، أو في الطبعتين المصريتين التابعتين لها، صادر عن مخطوط متأخر يرجع في الحقيقة إلى القرن الثامن عشر الميلادي، جرى نسخه في وقت وجيز على يد نساخ محترفين. وقد وُجدت النسخة بالصدفة في باريس، مسهمةً في التعريف بالرواية المشرقية للكتاب العائدة إلى أبي علي الفارسي، امتدت إليها من أصل منقول عن خط الزمخشري سنة ٦٤٧ هـ (وهو المحفوظ اليوم في جوروم)، عثر عليه في القاهرة في القرن الثامن عشر للميلاد، وعنه انتسخت جميع النسخ المؤرخة بهذا العهد، واصلة بذلك بين مرحلتين حَيَّتَين من تاريخ كتاب سيبويه فصلت بينهما حسب الباحثة فترة قطيعة دل عليها غياب النسخ المخطوطة المؤرخة بالقرون الثلاثة المحصورة بين القرن الثامن والحادي عشر الهجريين(٢).

١.٠٢. تاريخ نقل الكتاب وإشكال البدايات

اقتضى الاهتداء إلى تاريخ واضح لكتاب سيبويه من الباحثة اعتماد منهج يجمع بين قراءة المصادر المؤرخة للنحو العربي، وبين تأويل للمعطيات الكوديكولوجية التي تخولها المخطوطات الكثيرة التي عاينتها. ولعله المنهج العلمي الأضمن، في هذا السياق، لإعادة بناء المراحل القريبة التي تلت وفاة سيبويه، خاصة أن المعلومات المصدرية عنها ليست مما يساعد على ترتيب حكم يمكن الاطمئنان إليه لبناء تاريخ للنص يخلو من قطائع قد تزري بتمثل أوضح لانتقالاته في الزمن، ومصائره بين أيدي العلماء الذين تداولوه منذ أول تلقٍّ له من صاحبه. ولقد كان طموح الباحثة أن تقتطف من النسخ الخطية ما تقتدر به على كشف الحجب عن بدايات تاريخ الكتاب، مباشرة بعد تأليفه وإقرائه، لكنها ووجهت بحقيقة ضياع حلقة أساسية من زمن النص، هي الفاصلة بين سيبويه والمبرد، لم تجد لها راتقا من المخطوطات نفسها، ولم يكن لها مناص من الاستعانة الكلية بما تمليه المصادر المؤرخة للنحو في أولياته، حيث يجري الحديث عن تلميذين لسيبويه كان لهما الفضل في نقل الكتاب إلى من بعدهما: قطرب (ت. ٢٠٦ هـ)، وأبو الحسن الأخفش (ت. ٢١١ هـ).

أظهرُهما في هذه المهمة الأخفشُ الذي يعرفه السيرافي في أخباره بالقول: «وأما الأخفش فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى لبني مجاشع بن دارم فهو من مشهوري نحويي البصرة، وهو أحذق أصحاب سيبويه، وهو أسن منه فيما يروى، ولقي من لقيه سيبويه من العلماء. والطريق إلى كتاب سيبويه الأخفش؛ وذلك أن كتاب سيبويه لا نعلم أحداً

(1) Humbert Geneviève. *Les voies de la transmission*, op. Cite., P. 38.
(2) *Ibid*. P. 40.

قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه، ولكنه لما مات سيبويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش. وكان ممن قرأه أبو عمر الجرمي: صالح بن إسحاق، وأبو عثمان المازني: بكر بن محمد وغيرهما»[1].

على أن الباحثة لم تجد من الدلائل ما يقنع بأن العَلَمين المذكورين معدودان في تلامذة سيبويه؛ ذلك أن قطرب كان قرينا لسيبويه في التلقي عن عيسى بن عمر[2]، كما أن الأخفش، حسب كل مصادر تاريخ النحو العربي، كان أَسَنّ من سيبويه. واستكمالا لهذه الحجة تقول «همبير»: «ثمة أدلة كثيرة، فوق حجة المعاصرة والاقتران، لنفي تلمذة الأخفش لسيبويه، فإن عبارة السيرافي (في ترجمته) لا تفيد، فيما أميل إليه، إلا أن الأخفش صار ناقلا للكتاب، من غير أن يتم ذلك باختيار من سيبويه. وبناء عليه، فتفسير قول السيرافي يُنْتِج أن الكتاب قد نُقِل على يد من أسند إلى نفسه حقا لم يأذن له فيه صاحبه (أو أسنِدَ إليه الأمر بأَخَرَة)، لا أن النقل أجراه تلميذ انتدبه المؤلف لمهمة النقل الأمين للكتاب»[3]. وبهذه الحجة تلحق أخرى آكد وأمكن، التمستها الباحثة من تعليقات الأخفش التي تخللت متن الكتاب، وبعضها ينزع إلى النقد والجدل لا يحتملهما مقام التلمذة. ومحصول ذلك، أن الكتاب لم يُقرِئْه سيبويه أحدا، حتى يتصل سنده به، وأن الكتاب قد تركه صاحبه محررا على هيئة مخصوصة، على خلاف المعهود من تقاليد العلم في القرون الأولى من حضارة الإسلام حيث تروى المصنفات وتتلقى سماعا بطرق مشهورة، قبل أن تحظى بالكتابة في صورتها النهائية[4].

١.٠٣. كتاب سيبويه: صوت الرواية وسلطة المكتوب

أوسعت الباحثة هذه المسألة تحليلا في دراسة مفصلة عنونتها بـ«**سيبويه واستقلالية المكتوب**»، أَرْسَت فيها كتاب سيبويه على ضفة من تقاليد التصنيف العلمي في القرون الأولى، لا يقاسمه فيها غيره. ومن حصائلها أن إطلاق تسمية الكتاب عليه يمكن عَدُّها كناية على طبيعته المكتوبة التي تنفي عنه سَمْتَ التحمل المعتبر في نقل العلوم العربية منذ نشأتها الأولى. «إنها سمة غير معتادة؛ ذلك أن قاعدة عامة تقتضي أن النصوص القديمة، كما بلغنا أغلبُها، تبدأ بعبارة افتتاحية تقدم المصنَّف وتسمي، عن طريق سلسلة إسناد، ناقلا انتهى إليه الكتاب على نحو رسمي، وصار يتمتع بسلطة ثابتة عليه»[5].

ولدفع هذه الغرابة عن وجه النقل المذكور، سلك العلماء طرقا خاصة تعيد كتاب سيبويه إلى جادة الرواية الشفهية، في الموضع الذي تحتمله[6]. من ذلك أن نسخة دار الكتب المصرية (م١٣٩) استُهِلّت بعبارة: «الأول من كتاب سيبويه لأبي

---

(١) السيرافي، أبو سعيد. **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه الزيني ومحمد خفاجي، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٦، ص. ٣٩.

(2) *Les voies de la transmission*, op. Cite., P. 2.

(3) *Ibid*. P. 15.

(٤) بهذه العلة تفسر الباحثة كثرة التعليقات التي مازجت متن الكتاب على نحو ما يجعل أمر استخلاص المتن الأصلي الخالص لسيبويه قرين الاعتياص. ينظر المرجع نفسه، ص. ١٧.

(5) Humbert Geneviève. *Le Kitāb de Sībawayhi et l'autonomie de l'écrit*. Arabica, T. 44, Fasc. 4, Voix et Calame en Islam Médiéval, Oct, 1997, P. 556.

(٦) نقصد الحلقة التي تتجاوز تلاميذ سيبويه المفترضين الذين لم تقع لهم الباحثة على أثر في نقل الكتاب روايةً عنه قبل تقييده بالكتابة. وهي الحقيقة التي واجهتها أثناء بحثها في قاعدتها الخطية الواسعة فجاهرت بالقول: "لا نعرف لسيبويه (ت١٨٠-٧٩٦) تلميذا حقيقيا، يمكن أن يكون قد أسندت إليه العناية بنقل كتابه، والذي يمكن أن يكون قد قرأه عليه إلى الحد الذي ينبغي أن نعتبر، في نظري، أن نقل كتاب سيبويه كان قد انقطع منذ البداية"
Humbert Geneviève. *Les voies de la transmission*, P. 187.

أحمد بن إسحاق بن محمد، رواية أبي جعفر الطبري، أحمد بن رستم، عن أبي عثمان المازني»[1]. وتقاس عليها المقدمات الدالة على طرق نقل الكتاب، وهي مقدمات ذائعة في كثير من النسخ التي استجمعتها الباحثة، ووجدنا لها مصداقا في نسخة قديمة محفوظة بخزانة الزاوية الحمزاوية بالمملكة المغربية، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٥٨٨ هـ[٢].

أما الوجه الثالث من هذا الاستعادة الشفوية، فيتمثل حسب الباحثة في تضمن الكتاب مدونة تعليقاتٍ مسندة إلى ثلاثة أعلام هم: أبو الحسن الأخفش، وأبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني، تحمل آراءَهم الشخصيةَ في قضايا جزئية من متن الكتاب، كثيرا ما تعدو الإضافة والتوضيح إلى النقد والترجيح. وقد جرى تمييز هذه الآراء بردها إلى أصحابها تسميةً أو رمزا، على نحو يوحي بأن النهوض بجمعها كان مقصودا لذاته، وإن كان مجهولَ المُنْجِز.

تعتبر الباحثة أن هيئة إيراد النحاة الثلاثة، تمثل سلسلة رواية حقيقية تنحدر من الأخفش الذي اشتهر في المصادر بكونه الجسر الوحيد إلى الكتاب، وتؤدي إلى شخصية وحيدة هي المبرد (ت. ٢٨٥ هـ). والترتيب المذكور يعادل في الوقت نفسه صلة التلمذة التي ضمت الجرمي والمازني إلى الأخفش، وجمعت المبرد بالجرمي والمازني. وعلى ذلك، فقد صارت السلسلة دالة على رواية رسمية للكتاب، تجلت معالمها في كل النسخ المخطوطة التي وقفت عليها الباحثة، ما عدا في نسخة «الأمبروزيانا» بميلانو التي استدلت على فرادتها وتميزها من وجوه، سنوردها لاحقا.

وبموجب سلسلة الرواية المذكورة، تخلص الباحثة إلى أن المبرد في واقع الأمر هو المسؤول عن إدراج مجموع التعليقات المومأ إليها مقترنة بأسماء أصحابها. والدليل على ذلك، أن المبرد الذي صنف كتابا في الرد على سيبويه، كان ملزما ببيان دافعه إليه، وتسويغ مبادرته إلى توزيع هذا العدد الكبير من التعليقات على مواطن متعددة من النص. تقول الباحثة في شأنها إنها «تشكل مدونة مؤسسة ومعتمدة، يتضمنها المتن في كل النسخ، باستثناء نسخة ميلانو(...) يتعلق الأمر، على ما يظهر، بإجراء دارج، كما تدل عليه عدة مؤشرات، مثل حكاية النسخة الكوفية التي أهداها الجاحظ للوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم، التي تستمد قيمتها في جزء كبير منها، من كونها تحمل تعليقات بخط الفراء[٣]، ومنها تعليقات كانت بلا شك خاصة به، وأخرى قد اقتطفها مباشرة من نسخة شيخه الكسائي. والمبرد من جهته، كان قد

(1) *Ibid.*

(٢) لم تطلع الباحثة عليها، ويمكن إدراجها في طائفة الرواية الأندلسية للكتاب، وتنسحب عليها، تبعا لذلك، كل الخصائص التي ساقتها الباحثة في شأن هذه الرواية، سواء في إفاداتها النصية أو الكوديكولوجية.

(٣) نص الحكاية كما في **إنباه الرواة**: "كتبت من خط محمد بن عبد الملك: حدّثني المروزيّ عن الجاحظ قال:

«أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات، ففكّرت في شيء أهديه إليه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه. فقلت له: أردت أن أهدي إليك شيئا، ففكرت فإذا كل شيء عندك دونه، فلم أر أشرف من **كتاب سيبويه**. وهذا كتاب سيبويه اشتريته من ميراث الفرّاء. فقال: والله ما أهديت إليّ شيئا أحبّ إليّ منه. وشاهدت بخط السلالي النحويّ القرشيّ الكوفيّ الورّاق أن الجاحظ لما قدم من البصرة في بعض قدماته أهدى إلى محمد بن عبد الملك الزيات في وزارته نسخة من كتاب سيبويه، وأعلم بإحضارها صحبته قبل أن يحضرها مجلسه، فقال له ابن الزيات: أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال: ما ظننت ذاك؛ ولكنها بخط الفرّاء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ. فقال له ابن الزيات: هذه أجلّ نسخة توجد وأغربها. فأحضرها إليه، فسرّ بها، ووقعت منه أجمل موقع". القفطي، جمال الدين. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤، ٣٥١/٢.

جمع التعليقات مباشرة من شيخيه الجرمي والمازني اللذين كانا بدورهما ينقلان مع الكتاب تعليقات اشتهر صدورها عن أبي الحسن الأخفش. وقد كان المبرد كما يبدو لي أول من نشر هذه التقاييد مع نسخته، حيث كانت في الواقع مدمجة في المتن، كما هو حالها الآن في تسعة وتسعين بالمائة من النسخ الخطية المحفوظة»(١).

وعلى الجملة، فالمبرد، بهذا الصنيع أول نحوي أدرك حاجة الكتاب إلى لبوسه الأصيل الذي كان ينبغي أن يتزيا به، تمكينا لقوته النصية، وهو لبوس الرواية الشفوية التي أوحى المبرد، بإجرائه المذكور، بتلقيه الكتاب وفق قواعدها المشهورة، من شيوخ يمتون إلى الكتاب بصلة رواية أعلى، تقف عند الأخفش. ومن ثمار هذه الاستعادة الشفوية التي حاولها المبرد أن روايته هي التي هيمنت على سائر الروايات المجاورة لها، وقد وجد من شهرته العلمية سندا مكينا للحظوة بهذا التقديم(٢)، الذي لا يزري به ما وجدته الباحثة في أصول قديمة للكتاب من تعليقات تبعد عن المدونة الرسمية التي رسخها المبرد أول الأمر. تقول في ذلك: «تحتفظ جملة من المخطوطات بذكرى أشخاص تتعلق أسماؤهم (لسبب صار اليوم غامضا) بتاريخ النص (مثل أبي جعفر بن رستم الطبري أو ابن الشقير أو القاضي إسماعيل بن إسحاق)، ويمكن التفكير في أن ذكراهم قد استمرت بسبب التعليقات الأصلية التي وجدت في نسخهم. لكن دراسة بعضها، أو على الأقل بعض الشذرات التي استمرت في الوجود تُظهر أنها لا تختلف إلا قليلا عن نص النسخة المرجعية العالية vulgate سواء كان ذلك من الأصل، أو أن الاختلافات التي كانت تحملها بالقياس إليها قد تبددت تدريجيا. ويبدو لي ممكنا كذلك أن ميزتها في أعين المعاصرين، تتمثل بالخصوص في أنها كانت تحتفظ بمدونة أصيلة من التعليقات، أكثر من كونها تحتفظ برواية مختلفة لكتاب سيبويه»(٣).

ورغم هذا الوضع الذي اكتسبته رواية المبرد، فإن النسخ الخطية لا تفصح بنفس الدرجة عن نسخته بوصفها أصلا معتمدا للتحرير والمقابلة؛ تؤكد الباحثة هذه الملاحظة بقولها «تقترن شهرة نسخة المبرد مع التعليقات الواردة فيها بالشهرة الشخصية للمبرد (إن لم تكن السبب فيها)، وستتسبب في إهمال متزايد للروايات الأخرى إلى درجة أنه يمكن القول إن نسخة شيخ بغداد، قد اكتسبت وظيفة النسخة المرجعية العالية Vulgate. بيد أنه، إذا كان أثر

(1) Humbert Geneviève. *Les voies de la transmission*, P. 188.
(2) *Ibid*, P. 91.
(3) *Les voies de la transmission*, op. Cite. P. 189.
وينظر تحليلها الدقيق للنسخ الخطية الجامعة للآثار المذكورة في الفصل الثامن للكتاب، ص. ١٦٥-١٧٠. يتعلق الأمر بمخطوط دار الكتب بالقاهرة (نحو، م ١٣٩)، يحمل تقييدا استفادت منه الباحثة أنه من القرن الخامس للهجرة، ومخطوط "سان بترسبورغ" المؤرخ بـ ٥٤٧ هـ، ونسخة "الأمبروزيانا" بميلانو. ويعد اكتشاف هذه النسخة أهم إضافة علمية مقترنة بعمل "جنفييف همبير"، تقول في شأنها: " رواية واحدة وصلت إلينا وقد نَأَتْ عن رواية المبرد: ذلك أن المخطوط الأقدم من بين مخطوطي "الأمبرزيانا" بميلانو، يتضمن نصا يختلف عن نص النسخة المرجعية؛ لأنه يخلو كليا من المدونة الرسمية المعتمدة canonique التي تسند إلى الأسماء الثلاثة الوسيطة بين سيبويه والمبرد، وعلى السواء؛ ذلك أن النص فيه أقل إخلالا، ويتضمن معلومات يمكن أن نتحقق عن طريق النقد النصي من أنها أقدم وأجود من تلك التي تتضمنها النسخة المرجعية. يحمل الجزء المحفوظ من هذه النسخة، في صفحة العنوان، اسم شخص (أبو الحسن أحمد بن نصر) يكاد يكون مجهولا بالمرة في الأدبيات النحوية. الشيء الوحيد الذي استطعت الوقوف عليه في شأنه هو أن تلميذا لثعلب، المنافس الكوفي للمبرد في بغداد، قد روى عنه". **نفسه**.

رواية المبرد ذائعا في المخطوطات، فإننا لا نملك إلا القليل من الآثار الواضحة لنسخته، في حين نستطيع أن نجد في المخطوطات تفاصيل أدق حول نسخة المازني، وبالخصوص حول النسخة المنتسبة إلى أقدم تلامذته أبي إسحاق الزجاج (ت٣١١-٩٢٣). والواقع أنه في المخطوطات التي استطعت الرجوع إليها، نادرا ما نجد ناسخا يؤكد أنه نسخ نسخته من كتاب المبرد»[1].

وتلك في رأينا مسألة يمكن أن نستثمر في تفسيرها، نفس الحجة التي عللت بها «همبير» إدراج المبرد لتعليقات الأخفش والجرمي والمازني في متن الكتاب؛ بمعنى إظهار حاجته إلى النقد الذي نهض به في كتاب مستقل. وعليه يمكن القول، من وجه آخر، إن غياب نسخة المبرد عن الأصول الخطية المعروفة لكتاب سيبويه إلى يومنا، إنما يعزى إلى رغبة العلماء عن عمل ليس صاحبه على وفاق تام مع سيبويه، بعد استشعارهم لاحتمال مخالفة نسخته لأصل الكتاب كما حرره صاحبه. وفي كل الأحول، يظل التفسير احتماليا غير قابل للحسم، ما لم تعضده دلائل واضحة، سواء من كتب التراجم أو من المخطوطات ذاتها.

٢. روايات كتاب سيبويه وآثارها في النسخ المخطوطة

أومأنا في السابق إلى أن الباحثة الفرنسية «جنفييف همبير» تمكنت من إحصاء سبع وسبعين نسخة من كتاب سيبويه موزعة على ثمانية عشر بلدا، منها عشرة في الشرق الأوسط[2]. واستعانت في ذلك بما تضمنه كتاب **تاريخ الأدب العربي** لكارل بروكلمان، و**تاريخ التراث العربي** لفؤاد سيزكين، وهو أشمل من سابقه، من إفادات واسعة حول ما استطاعا الوصول إليه من نسخ الكتاب[3]، وعددها عند سيزكين ست وستون مخطوطا، أضافت إليها الباحثة إحدى عشرة نسخة جديدة أدركتها بعد فهرسة بعض الخزانات التي لم تفهرس أثناء إنجاز سيزكين لموسوعته. وقد صنفت الباحثة هذه الحصيلة على النحو التالي:

❖ مجموعة المخطوطات المؤرخة أو القابلة للتأريخ: عددها واحد وخمسون مخطوطا، أقدمها يعود إلى سنة ٣٥١ هـ، وهو محفوظ في دار الكتب بالقاهرة، نحو م ١٣٩، وأحدثها مؤرخ بـ ١٣٠٥هـ، من محتويات دار الكتب بالقاهرة، نحو س ١٢.

❖ مجموعة المخطوطات غير المؤرخة: عددها ثلاثة وعشرون مخطوطا، قدرت الباحثة لكل منها تاريخا تقريبيا، اعتمادا على قرائن كوديكولوجية وباليوغرافية مفصلة في الفهرس التفصيلي لمخطوطات الكتاب الذي ذيلت به عملها[4]. وأقدم ما تضمه المجموعة مخطوط مكتبة «الأمبروزيانا» بميلانو (x 56 sup) الذي انتهت الباحثة من تحليله إلى نتيجة علمية جليلة، تتعلق بنقص النسخ الخطية الموجودة التي تنحدر من رواية المبرد، وتستدعي، تبعا لذلك،

(1) *Ibid.*

(٢) أشارت الباحثة إلى أن عدد النسخ يحتمل الزيادة بمعرفة الموجود من كتاب سيبويه في بعض البلدان التي لم يتح لها الاهتداء فيها إلى جميع نسخ الكتاب من جملة محتويات خزاناتها الخاصة ومؤسساتها الدينية؛ لأسباب مختلفة. ونعد من هذا الصنف نسختين نفيستين محفوظتين في خزانة الزاوية الحمزاوية بالمملكة المغربية، إحداهما كتبت سنة ٥٨٨ هـ.

(٣) ترجع الباحثة أهمية عمل فؤاد سزكين إلى أنه وجه انتباه المختصين إلى ثراء الخزانات التركية في هذا الشأن.

Les voies de la transmission, P. 18.

(4) *Ibid*, P. 199.

وجوب المبادرة إلى إعادة تحقيق كتاب سيبويه، اهتداء بنص النسخة الذي يتجاوز رواية المبرد، ويقترب من المعين الأول للكتاب.

❖ مخطوطات غير مصنفة: وعددها ثلاث نسخ، لم تأت الفهارس بإفادات تستوفي كافة خصائصها، وتعين على إحلالها محلا وظيفيا في مجرى التأريخ لكتاب سيبويه(١).

وانسجاما مع التوجه الذي رسمته الباحثة لدراستها، تشير إلى أن قيمة المخطوط ليست دائما تابعة لتاريخ نسخه: «فإذا صح أن المخطوطات الأقدم تستحق اهتماما خاصا، فثمة استثناءات من هذه القاعدة التي تفيد أن أقدم مخطوط يكتسي قيمة أكبر. ولنا مثال أول، للدلالة على خلاف هذه القاعدة، من المخطوطات المنحدرة من رواية الزمخشري التي نسخت في القرن الثامن عشر للميلاد (ومنها النسخة التي اعتمدها «ديرنبورغ» أصلا لنشرته)، لكن بعضها قد تم نسخه، بلا شك، مباشرة من أصل محفوظ اليوم في «جوروم» بتركيا، وهو مؤرخ ب ٦٦٤ هـ. وقس على ذلك حالة مخطوط ميلانو، الذي جعلته أول الفهرس الوصفي في ص.٢٠٠، مع أنه لم يكن مؤرخا، ولا شك أنه متأخر عن نسخة القاهرة التي تحمل تاريخ ٣٥١ هـ. ورغم ذلك فإن مخطوط ميلانو يتضمن في الواقع رواية عتيقة Fossile، تسمح بتغيير جذري لما نعتقد معرفته عن الكتاب إلى يومنا. وعلى ذلك، وجب التفريق بين قدم المخطوط وقدم الرواية»(٢).

ولتوضيح الفكرة الأخيرة تولت الباحثة المقارنة التامة بين النسخ السابقة، من جهة المقدمات المفتتح بها، وبنية المتن، ومدونة التعليقات المرافقة له، وأوضاعها، والتقاييد المختلفة المثبتة على النسخ، ونوع الخط، وسوى ذلك من الدلائل الكوديكولوجية والباليوغرافية المساعدة على التصنيف. وخلصت من عملها الدقيق إلى أربع روايات كبرى للكتاب، تنتسب أولاهما إلى أبي علي الفارسي، والثانية إلى الزمخشري، والثالثة أندلسية تنسب إلى الرباحي، والرابعة رواية عتيقة قد تكون رواية كوفية، استفادتها من الدراسة الكوديكولوجية والباليوغرافية للمخطوط المحفوظ في «الأمبروزيانا».

ولئن كان تصنيفها السابق والجهد الذي بذلته للوصول إليه والاستدلال عليه من آيات تفوق عمل الباحثة؛ دقة وإحكاما وخبرة بالدقائق والخفايا، فإن اهتداءها إلى الرواية العتيقة المضمنة في مخطوط «الأمبروزيانا» يمثل كشفا غير مسبوق في تاريخ الدراسات الدائرة حول سيبويه، أبرزت به، من ناحية، أهمية المدخل الكوديكولوجي والباليوغرافي في الاشتغال بكتب التراث عامة، وبكتاب سيبويه على وجه التخصيص، وساءلت به، من ناحية أخرى، يقينيات مستقرة حُمِل عليها الكتاب زمانا ممتدا، منذ أن خرج إلى الناس مطبوعا.

٢.١. رواية أبي علي الفارسي.

تنتمي إلى هذه الرواية المنتسبة إلى أبي علي الفارسي (ت.٣٧٧هـ) (بعد المبرد بجيلين) تسع عشرة نسخة من مجموع ما عرضته الباحثة للدراسة والتحليل. وبهذه الرواية تأصلت الرواية المشرقية للكتاب، التي كان من أهم خصائصها ما ألحقه أبو علي الفارسي في نسخته من مدونة تستجمع حصائل المقابلات التي أجراها بين النسخ التي انتسخ منها

(1) *Ibid*, PP. 20-22.
(2) *Ibid*, P. 23.

نسخته Apparats critiques. ولم يكتف الفارسي بتسجيل الاختلافات القائمة بين الحوامل الخطية المذكورة، «بل إنه ضمَّن نسخته كل الشروح والتعليقات التي استفادها من شيوخه والحواشي التي استوحاها من نسخهم، علاوة على إضافات عثر عليها في نسخ متعددة كان يقابل عليها في رحلاته بين بلاد فارس وبغداد.

يشترك منجز الفارسي ومنجز المبرد في نقط التقاء، لكنه يختلف عنه في إيلائه اهتماما أكبر لنقد النص. ويبدو أن أبا علي الفارسي كان قد جمع في كراسة مستقلة مجموع الإضافات التي استطاع تحصيلها، وقد كلف بلا شك أحد تلامذته يسمى القصري[١] بإعادة نسخها على الكتاب. وقد أنشأ القصري أيضا، لاستعمال خاص، نسخة مستقاة من نسخة الشيخ، وأضاف جدولا للرموز التي كان قد استعملها أبو علي الفارسي لتوقيع الإضافات التي جمعها»[٢].

٢.٢. رواية الزمخشري

تناولت الباحثة خصائص هذه الرواية، في تحليل مفصل للنسخ المنحدرة منها استغرق الفصل الخامس من كتابها[٣]. ومما يستفاد من ذلك أنها تتصل برواية الفارسي عبر تلميذه القصري الذي «عثر الزمخشري على نسخته قرنا ونصف بعد ذلك، واتخذها أصلا لنسخته الشخصية، ناقلا في الهامش التعليقات التي وجدها فيها مع جدول الرموز. وفي مجرى أسفاره كان يقابل نسخته بمخطوطات الكتاب التي يقدر أهميتها، ويأخذ منها الإضافات الجديدة (غير المعروفة) المكتوبة عليها. وفي سنة ٥٢٣/١١٢٨ التقى الزمخشري في مكة أندلسيا اسمه ابن طلحة (اليابري) واكتشف بفضله الرواية الأندلسية للكتاب. وأضاف في النهاية إلى نسخته، على طريقة القصري، جدولا للرموز التي استعملها لتعيين النسخ التي قابل عليها»[٤].

انتهت الباحثة في معرض دراستها للرواية إلى أن النسخة المحفوظة اليوم في «جوروم» التركية من عمل ناسخ يدعى عبد المحسن بن مزروع البصري سنة ٦٤٧ هـ، وقعت نسخة الزمخشري التي كتبها بخطه بين يديه، فانتسخ منها متنا يجمع ما في أصل الزمخشري، نصا وحواشي وشروحا، مع جدولي الرموز الدالة على أصحاب الشروح المضافة. وقد حرص في نهاية النسخة على تأكيد صلته بنسخة الزمخشري، إذ نص على أنها كانت أصله الذي نقل منه كتابه موزعا إلى أربعة أجزاء.

وكان لهذا المخطوط تاريخ مثير يبدأ بسنة انتساخه ويمتد إلى القرن الثامن عشر للميلاد، حيث آوته القاهرة، وكان لحدث اكتشافه فيها وقع كبير؛ فقد أقبل العلماء على الانتساخ منه، ووجهوا في الأمر طلبات مستعجلة إلى صاحب ورشة لنسخ الكتب أنتجت من المخطوط عدة نسخ، تلتها نسخ أخرى أنجزت في اسطنبول بعدما نقل إليها المخطوط

---

(١) هو محمد بن طوسي القصري النحوي. ورد اسمه في العبارة الافتتاحية التي ميزت النسخ المنحدرة من هذه الرواية، ومنها: "نقلت هذه النسخة من أصل منقول من أصل أبي علي الفارسي مقروء عليه. وهذه النسخة مثبتة فيه هكذا بخط كاتبه: نسخت هذه الترجمة من أصل القصري الذي كان يعتمد عليه أبو علي الفارسي".

Les voies de la transmission, P. 67.

وخصصت "جنفييف همبير" لتعريفه مبحثا مستقلا بوصفه أحد أهم تلامذة أبي علي الفارسي. ينظر المرجع السابق، ص. ٧٣.

(2) *Les voies de la transmission*, P. 190.

(3) *Ibid*, PP. 93-15.

(4) *Les voies de la transmission*, P. 190.

في سياق زمني قريب. ولعله من الطبيعي أن يسهم هذا الأصل في إنشاء زمرة من مخطوطات الكتاب تبينت الباحثة اشتراكها في كثير من السمات من أهمها: «احتواؤها على كم هائل من الشروح والتعليقات، نعلم أنها من جمع أبي علي الفارسي والزمخشري. هذه التعليقات التي تعد ذات أهمية قصوى في تاريخ النص، وفي معرفة مجالات الاهتمام النحوي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كلها جديدة لا محل لها في غير هذه الرواية»(١).

وبفضل النشرة التي أنجزها «ديرنبورغ» في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، انبعثت رواية الزمخشري في صورة جديدة؛ ذلك أن النسخة التي اتخذها المحقق أصلا وكان بها اعتداده في جميع فصول الكتاب تنحدر بشكل مباشر من مخطوط «جوروم»؛ «بالنظر إلى كونها تتضمن مجموعة من الهنات اختصت بها النسخة الأم»(٢). وينتهي تاريخ الرواية عند الطبعات العربية المعروفة التي سبق الإلماع إلى أنها إعادة نشر لطبعة «ديرنبورغ» مع تفاوتات يسيرة.

٢.٣. الرواية الأندلسية

عُرفت هذه الرواية بمقدمة تحضر في كثير من المخطوطات التي نسخت في الغرب الإسلامي، وأخرى في المشرق، وفيها يقول أبو عبد الله محمد بن يحيى الرباحي (٣٥٣ هـ): «قال أبو عبيد الله محمد بن يحيى: قرأت على ابن ولّاد وهو ينظر في كتاب أبيه. وسمعتُه يقرأ على أبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحّاس. وأخذه أبو القاسم بن ولاد عن أبيه عن المبرد. وأخذه المبرد عن المازني عن الأخفش عن سيبويه. الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتابه وجعله آخر دعاء أهل الجنة فقال جلّ ثناؤه: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين. قال لنا أبو جعفر أحمد بن محمد: لم يزل أهل العربية يفضّلون كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر المعروف بسيبويه حتّى لقد قال محمد بن يزيد: لم يُعْمَل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنّفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج مَنْ فَهِمَهُ إلى غيره. وقال: سمعت أبا بكر بن شُقَير يقول: حدثني أبو جعفر الطبري قال: سمعتُ الجَرْميّ يقول: أنا مُذ ثلاثون أُفتِي الناس في الفقه من كتاب سيبويه. قال فحدّثتُ به محمد يزيدَ على وجه التعجُّب والإنكار فقال: أنا سمعت الجرميّ يقول هذا، وأومأ بيديه إلى أذنيه. وذلك أنّ أبا عُمر الجَرْمي كان صاحبَ حديث، فلما علِم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتّفتيش»(٣).

تستند هذه الرواية إلى عالمين مصريين مشهورين، هما أبو العباس بن ولاد وأبو جعفر النحاس، تلقيا النحو ببغداد كما تنبئنا بذلك بعض كتب تراجم النحاة(٤)، وعليهما درس الرباحي حين مقدمه إلى مصر، حيث ظفر بنسخة من الكتاب، متصلة السند إلى مؤلفها عبر الشيخين المذكورين. وفي ذلك يقول الزبيدي: «ورحل إلى المشرق فلقي أبا جعفر النحاس، فحمل عنه كتاب سيبويه رواية، ولازم علان وناظره، وكان يذكر من دقة نظره وجودة قياسه. وقدم

(1) *Ibid*, P. 113.
(2) *Ibid*, P. 111.

(٣) ينظر سيبويه، عمرو بن عثمان. **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨، ٣/١.

(٤) منها: السيوطي، جلال الدين. **بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩.

قرطبة فلزم التأديب بها في داره، فانجفل الناس إليه، ثم انتقل إلى أحد الحُدَيريين فمكث عنده مدة، وقرئ عليه كتاب سيبويه، وأُخِذَ عنه روايةً، وعقد للمناظرة فيه مجلسا كل جمعة»[1].

تعتبر «جنفييف همبير» أن قيمة الرواية عن بني ولاد قد ضعفت بسبب أن أبا العباس ابن ولاد الذي أخذ عن الزجاج كان قد توفي معتَبَطا، فوجب الارتقاء إلى قراءة الكتاب على أبي القاسم بن ولاد الذي كان يدين بالاستحقاق لأخيه أبي العباس، ولم تكن له صلة ببغداد ولا بشيوخ النحو الذين اشتهرت دروسهم بالعراق. غير أن حكاية يرويها أبو الحسين بن ولاد والد أبي القاسم وأبي العباس، في مقدمة الرواية الأندلسية ربما أعادت لهذه الرواية قوتها من بعد ضعف، وأعلت شأنها رغم صدورها عن أبي القاسم المذكور. «حسب هذه الحكاية، فإن نسخته في الواقع، كانت قد انتسخت مباشرة من نسخة المبرد، بعد اتفاق سري بين أبي الحسين بن ولاد وولد النحوي البغدادي (المبرد)، على نحو ما جعل هذه النسخة أعلى من النسخة التي كانت تقرأ على أبي جعفر النحاس»[2]. وتفيد الباحثة أن نسخة الرباحي، رغم ما قيل، ظلت بلا أثر في الموجود من النسخ الخطية في الغرب الإسلامي، شأنها في ذلك شأن نسخة المبرد التي لا يضاهي ذكرها ذكر نسخة الزجاج، «والمخطوط الذي تعتمد عليه الرواية الأندلسية في الواقع هو المنسوب إلى الأندلسي أبي نصر هارون بن موسى المتوفى في أول القرن ٥-١١، وهو أحد تلاميذ الرباحي، كما أنه يدين، بلا شك، في جزء من شهرته إلى كونه أيضا تلميذا لأبي علي القالي، صاحب كتاب **الأمالي** المشهور. ومما تشترك فيه رواية الرباحي مع رواية المبرد، أنها تمتعت بتقريب السلطات الإدارية والسياسية العليا. ذلك أننا نجد في سلاسل نقل الكتاب، كما يمكن تتبعها في فهرس ابن خير، أسماء مجموعة من الوزراء وشخصيات سياسية أخرى، فضلا عن أن الرباحي نفسه كان مكلفا من قبل الخليفة الناصر بتأديب ولده المغيرة، وبعد ذلك كلف بإدارة سجلات الخليفة المنتصر بالله»[3].

ومما يلحق بهذه الرواية الأندلسية نسخة نفيسة عثرت عليها الباحثة في المكتبة الوطنية بباريس (Arabe 6499)، كتبت بخط أبي الحسن علي بن محمد ابن خروف الحضرمي المتوفى سنة ٦٠٩ هـ، وكان الفراغ من نسخها سنة ٥٦٢ هـ، تميزت بسمات كوديكولوجية تتصل بالورق وهيئته وشكل إعداده مما يشهد على تمام أندلسيتها[4]. يدل تحليل متن النسخة على أن ابن خروف الذي تلقى النحو بالأندلس على أعلام عصره قد احتاز النسخة التي كتبها أبو نصر هارون بن موسى تلميذ الرباحي، وانتسخ منها نسخة خاصة هي المحفوظة اليوم بباريس. غير أنه لم يكتف بما احتجنته رواية الرباحي من الخصائص السالف ذكرها، بل إنه رحل في طلب الأصول النادرة للكتاب، فتم له الحصول في الشام على مخطوط جامع لتعليقات أبي علي الفارسي محررة بيده.

وقد التمست الباحثة الشاهد على هذه القاعدة الخطية المزدوجة من الإفادات الكوديكولوجية الثابتة في المخطوط، وأبانت عن ذلك في قولها: «إذا حاولنا، رجوعا إلى المخطوط، أن نتتبع المواطن التي صرح فيها ابن خروف بأصليه،

---

(١) الزبيدي، أبو بكر. **طبقات النحويين واللغويين**، ص. ٣١١.

(2) *Les voies de la transmission*, P. 192.

(3) *Ibid.*

(4) Humbert Geneviève. *Le Kitāb de Sībawayhi d'après l'autographe d'un grammairien Andalou du 12ème siècle*, Le manuscrit arabe et la codicologie, Coordonné par A. C. Binbine, Rabat: Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, 1994, P. 12.

نجد أنه قد أحال على أولهما في أول ورقة من المخطوط حيث نقرأ: ألفيت على ظهر كتاب أبي نصر»[١]. أما الإشارة إلى الأصل الثاني فتلتمس مما قيد بعد حرد المتن في نهاية المخطوط، وفيه يعين ابن خروف نسخة مشرقية عليها خط أبي علي الفارسي، انتسخت من أصل أبي بكر ابن السراج»[٢]. وقد أجملت مأتى الأصلين عند ابن خروف في قولها: «إننا على يقين من أن نسخة باريس لا تدين بشيء لأصول الشيوخ الذين أشار إليهم ابن خروف في تقاييد السماع المثبتة في نسخته. فبعدما انتخب نسخة أبي نصر أصلا لكتابه، وهي النسخة التي يظهر أنها قد عكست صدى للرواية المشرقية لكتاب سيبويه بوساطة أبي علي القالي، فقد منح نسخته بريقا جذابا حين أضاف إليها الاختلافات والفوارق (تفيد في إقامة النص) التي تضمنتها النسخة الشرقية التي عثر عليها، وأكمل نسخته بإلحاق التقاييد الأصلية التي تمكن من قراءتها على أصوله، مع سائر الإفادات المتعلقة بالطرق التي انتهى بها النص إليه»[٣].

وتبعا لذلك فإن الباحثة تعتبر نسخة ابن خروف أقدم نسخة محققة لكتاب سيبويه، زيادة على أن الطريقة التي بنى بها هذا النحوي الأندلسي كتابه تثير الانتباه إلى مسألة ذات أهمية قصوى في التقويم الكوديكولوجي للنسخ الخطية، وهي وجوب التمييز بين سلاسل الرواية وبين تكوين النص وبنيته. فرغم أن ابن خروف قد ثافن مجموعة من الشيوخ، وأشار بعناية إلى أنه قد تلقى إفاداتهم، فإنه قد انتهى إلى صناعة نسخة لا تمت إليهم بصلة»[٤].

٢.٤. الرواية العتيقة وأفول نجم النسخة المرجعية

مما أثمره البحث الكوديكولوجي والباليوغرافي الذي أعملته الباحثة «جنفييف همبير» على القاعدة الخطية التي أحكمت ترتيبها وتصنيفها، الوقوف على رواية للكتاب، نَدَّت عن الخصائص المعروفة للرواية المشرقية (أبو علي الفارسي والزمخشري) والرواية المغربية (الرباحي). رَسَتْ هذه الرواية في مخطوط وسمته الباحثة **بالشاهد العتيق**[٥]، تحتفظ به مكتبة «الأمبروزيانا» بميلانو (X056 sup)، مكتوب على الرق، بخط قريب من خطوط المخطوطات التي نسخت بالقيروان في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة، وعلى هذه الحجة اعتمدت الباحثة في تأريخ النسخة التي خلت من تاريخ النسخ. واستعانت أيضا بخبرة البروفسور François Déroche، في تأويل المعطيات الكوديكولوجية والباليوغرافية المتعلقة بهذه النسخة، وخاصة منها مادة الرق المتخذة حاملا للكتابة التي لم يشتهر اختصاصها بالنصوص غير الدينية بعد القرن الثالث للهجرة إلا في القيروان[٦].

ومما يميز هذا المخطوط أنه ينطوي على متنين: نص الكتاب، برواية غير الرواية البصرية المشهورة، ونص تصحيحات وتعليقات كتبت بخط يفيد تحليلُ سماته الباليوغرافية أنه من خطوط الغرب الإسلامي في القرن الثامن للهجرة. يختلف هذا المخطوط عن الرواية الرسمية Canonique للكتاب التي سبق بيان معالمها في الروايتين

(1) *Ibid*, P. 17.
(2) *Ibid*.
(3) *Les voies de la transmission*, P. 153.
(4) *Ibid*, P. 154.
(5) Humbert Geneviève, *Un témoin fossile du Kitāb de Sībawayhi*, Développements récents en linguistique arabe et sémitique, Dir. George Bohas, Damas : Études arabes, médiévales et modernes, 1993, PP. 121-139.
(6) *Les voies de la transmission*, P. 202.

المشرقية والمغربية، من جهة كونه يكاد يخلو من مدونة التعليقات المسندة إلى الجرمي والمازني والأخفش الذين يصلون بين المبرد وسيبويه.

وعن طريق المقارنة بين مخطوط «الأمبروزيانا» وبين صيغ الكتاب في مختلف إبرازاته تبينت الباحثة أن النص المضمن في مخطوط «الأمبروزيانا» يعد أصح وأكمل من نظائره في كل مخطوطات الكتاب التي أخضعتها للدراسة، خاصة أنها أخلت بمواضع كثيرة من أبواب الكتاب؛ سطورا وفقرات، بسبب ظاهرة **انتقال النظر** الواقع في النسخ الأمهات التي تولدت عنها سائر النسخ المتعلقة منها بسبب. وهي نتيجة على جانب كبير من الخطورة، أقل ما توحي به أن المطبوع من الكتاب في الغرب أو في الشرق، ملازم للنقص، وقد أسلفنا أن معتمد جميع نشرات الكتاب كان على نسخة تنحدر من الأم المحفوظة في «جوروم»، سواء كان الأمر بمعاينة مباشرة كما هو شأن نشرة «ديرنبورغ»، أو بالتبعية كما في نشرتي بولاق وهارون. وفي هذا الأصل ما فيه من السقط الذي وقفت عليه الباحثة باستدعاء أصل «الأمبروزيانا» للمقارنة. ومن غرائب هذه النسخة كما ألمعنا إليه أنها خضعت سنة ٧١٤ هـ لتصحيحات متعسفة، تلخص الباحثة قصتها على النحو التالي: «عثر المصحح على النسخة المحفوظة في ميلانو، وقابلها على مخطوط اشتهر أنه مقابل على نسخة الرباحي، ووجد فيه إفادات بالغة الأصالة والجودة. وقد فوجئ بلا شك بهذا الأمر، فبادر إلى مقابلة ثانية على أصل آخر للكتاب من رواية قديمة، فلم يجد نسخة يمكن أن تعلو على نسخة تتصل بأصل أبي جعفر النحاس، مؤرخة بـ ٥١٧ هـ، فقابل عليها، عن طريق القراءة بحضور شخص ثان، من المؤكد أنه كان أحد الأثبات في هذا الشأن. وقد قادته هذه المقابلة الثانية إلى الاقتناع بأن نسخة ميلانو مغرقة في الاختلاف والبعد عن الرواية المعروفة للكتاب، ما جعله يجترئ، بضمانة من المخطوط القديم المقابل عليه، وإيعاز من الشاهد الذي كان له كفيلا، على التدخل في متن الكتاب بالشطب والإلحاق والتصحيح»[(1)].

كان المصحح يهدف بهذا الصنيع إلى إعادة النسخة إلى جادة الرواية الرسمية التي اشتهرت بين العلماء في مختلف القرون، متناً ومدونةَ تعليقات. وتتصور الباحثة أن عمل المصحح الذي وسمته بالمتعسف، رغم إزرائه بالمواطن الخلافية بين نسخة «الأمبروزيانا» والرواية الرسمية للكتاب، فإنه قد أسهم في إثارة الانتباه إليها، وجعل إمكانية الاهتداء إليها سريعة، خاصة أن أكثرها مما يمكن استعادته رغم الإجراءات المتعسفة للمصحح، للانتهاء إلى نسخة غير معهودة للكتاب، يرجح اسم أبي الحسن أحمد بن نصر المكتوب على صفحة العنوان أن تكون نسخة كوفية من تلك التي تحدثنا عنها المصادر.

وقد استطاعت الباحثة أن تجد في شأن هذا الرجل ما يفيد أن له صلة بالكوفيين، حيث روى عنه أحد تلامذة ثعلب الذي عرف بكونه المنافس الكوفي للمبرد في بغداد. تقول الباحثة: «يظهر أن كتاب أبي الحسن أحمد بن نصر منحدر من رواية موازية لرواية المبرد التي لم يتأثر بها على الأرجح. ويمكن أن تفسر لنا كنية أحمد بن نصر وجود كثير من الشروح والتعليقات موقعة باسم أبي الحسن في مخطوط ميلانو، استنتجنا أنها تختلف كلية عن تلك الموقعة بنفس الطريقة في ما اعتقدنا إمكانية تسميته بالنسخة المرجعية. على أن المضي بعيدا (في التأويل)؛ بمعنى أن ننساق وراء محاولة

(1) *Les voies de la transmission*, P. 174.

استعمال مصطلحات الكتاب الكوفي أو البصري، قد لا يقترن بفائدة؛ لأننا لا نرى على وجه الدقة ما يمكن أن تقدمه هذه المصطلحات لتاريخ النص. وفي كل الأحوال، فإننا مع كتاب ميلانو نواجه مخطوطا عتيقا يسائل ويتحدى بعمق النص المطبوع، فضلا عن نص النسخة المرجعية الذي تعكسه نشرات الكتاب بشكل واسع. وثمة مناطق كثيرة مظلمة تظل قائمة، وتتعلق بمصدر رواية مخطوط ميلانو، ونكتفي في لحظتنا هذه بالإشارة إلى أننا وجدنا **كتابين** متزايلين؛ ينتسب أولهما إلى المبرد من جهة، وينتسب الثاني إلى مَنْ روى عنه أحد تلامذة ثعلب من جهة أخرى»[1].

خاتمة

كانت غايتنا في هذا البحث أن نقف على وجه طريف وغير مسبوق من الدراسات العلمية الدائرة حول كتاب سيبويه، اضطلعت به الباحثة الفرنسية «جنفييف همبير» التي محضت جهدها العلمي بالكامل لخدمة كتاب سيبويه، واقترحت مدخلا جديدا أغفله الدارسون العرب، وفاتتهم أهميته في تقويم المخطوطات واستثمار إفاداته في تمثل أدق للنسخ الخطية على وجه الإجمال ونسخ كتاب سيبويه على وجه التخصيص. يتعلق الأمر بالقراءة الكوديكولوجية والباليوغرافية المؤدية إلى بناء سيرة كاملة للكتاب المخطوط. ولئن صح أن هذا المدخل وما يترتب عليه يخرج شطأه على نحو أشد وفرة في تربة النصوص التي استبقى الزمان منها نسخا كثيرة، شأن كتاب سيبويه، تتيح عقد المقارنات الممكنة، والترجيح بين الاحتمالات، وتأويل الدلائل والعلامات الظاهرة والخفية، للظفر بتاريخ النص واضحا جليا؛ فإن أهميته في سائر الحالات لا يمكن إنكارها، خاصة ما تعلق من ذلك بتحديد هوية النسخ انطلاقا من خصائصها في الكتابة والتقاييد المختلفة التي يلحقها المؤلفون والمالكون والنساخ بمخطوطاتهم.

انطلقت الباحثة الفرنسية في بناء عملها من أول طبعة للكتاب (طبعة ديرنبورغ)، خولت لها أسبقيتها ودقتها في قراءة المتن أن ترخي ظلالها على سائر الطبعات اللاحقة. غير أن طموح الباحثة إلى تتبع التاريخ المحتمل لأحد أقدم النصوص العربية المؤسسة للفكر العربي الإسلامي إجمالا، وللفكر النحوي على وجه التحديد، قادها إلى استجماع عدد هائل من النسخ بفضل صدور الموسوعة القيمة لفؤاد سيزكين، حيث نبه إلى ست وستين نسخة، تمكنت الباحثة بجهدها في التنقيب من رفع عددها إلى سبع وسبعين نسخة، أجرت عليها تحليلها الكوديكولوجي والباليوغرافي وفق

(1) *Les voies de la transmission*, PP. 185-186.

ومن بين الخلاصات الأساسية التي نجمت عن تحليل الباحثة لهذا المخطوط الفريد قولها في موضع آخر من مصنفها: " إن مخطوط ميلان، وبسبب كونه قد جرى تصحيحه بتعسف، يتيح لنا أيضا أن نفهم كيف أمكن للاختلافات المحتملة للروايات الأخرى، التي قد تكون استمرت زمنا ما، أن تختفي بصفة نهائية. ويقترح المخطوط في النهاية أنه ليس من المستحيل، كما كان يزعم في القرن الرابع الهجري المعارض الوحيد المعروف للمبرد، وهو المصري أبو العباس بن ولاد (ت٣٣٢هـ) أن يكون شيخ بغداد قد استعمل في بناء روايته مخطوطا غير دقيق".

Les voies de la transmission, P. 190.

وهي تومئ بلا شك إلى كتاب ابن ولاد: **الانتصار لسيبويه على المبرد**، الذي رد به ابن ولاد على نقد المبرد لكتاب سيبويه. وينظر في تفصيل ذلك:

Monique Bernards, *al-Mubarrad's refutation of Sībawayh and the subsequent reception of the Kitāb*. Leiden : E. J. Brill, 1997, p. 87.

القواعد الصارمة للبحث في الغرب، فاستوفت بذلك كل خصائصها العينية التي ساعدت على تصنيفها حسب السمات المشتركة، لتنتهي، إلى تمييز الرواية الأساسية للكتاب كما صاغها المبرد، ورواياتها الفرعية كرواية أبي علي الفارسي، والزمخشري، والرواية الأندلسية، وتنويعاتها المختلفة.

ومما يميز تصنيفاتها أنها انعكاس مباشر لدراسة المخطوطات، وتمثيل حقيقي لها، لا مجرد استدعاء لما ورد في مصادر تراجم النحويين واللغويين التي لم تكن الباحثة تلجأ إليها إلا لتعزيز النتائج التي تصل إليها مما تمليه المخطوطات نفسها. إنه عمل خالص للقاعدة الخطية التي لا يمكن بناء تاريخ النصوص بغير اعتبارها منطلقا وهدفا في الآن نفسه.

ونحسب أن أهم نتيجة رشحت عن عمل الباحثة «جنفييف همبير» اهتداؤها إلى رواية جديدة لم تكن معروفة، وليس لها أي صدى في كل النسخ التي أخضعتها للدراسة، بدءا بأقدمها وانتهاء إلى أحدث تجلياتها في المطبوعات الغربية والعربية؛ تلك كانت رواية المخطوط المحفوظ في «الأمبروزيانا» بميلانو الجامعة بين هذا المستجد من روايات الكتاب، وبين تمام النص وسلامته من السقط الذي عانت منه كل النسخ الأخرى بجميع زُمَرِها. وتبعا للأوصاف والسمات التي قدمتها الباحثة عن هذه النسخة فإنها تعد نسخة على درجة كبيرة من الأهمية، ويمكن أن تعين على استكمال نواقص الكتاب كما نقرأه اليوم، مثلما أنها تهدي إلى تبين ملامح رواية مختلفة يحتمل أن تكون رواية كوفية من جملة الروايات المبثوثة أخبارها في مصادر النحو العربي القديم، يصعب الحسم في حدودها حسبما أكدته الباحثة بكثير من الحرص العلمي والمنهجي.

ولا شك أن أول اقتناع يبنيه المرء بعد قراءة عمل الباحثة سواء في كتابها الرئيسي المستخدم في بحثنا أو في مقالاتها الكثيرة التي استعنا بما تعلق منها بكتاب سيبويه، هو وجوب النهوض إلى مهمة تكتسي طابعا علميا وحضاريا استعجاليا؛ هي إعادة تحقيق كتاب سيبويه ونشره؛ استثمارا لما انتهت إليه الباحثة الفرنسية «جنفييف همبير» في أبحاثها التي مهدت بها الطريق، ورسمت المعالم، ووضعت وسائل الاشتغال بين يدي الباحثين ممن تاقت هممهم إلى تصحيح أحد النصوص الكبرى البانية للشخصية العلمية العربية الإسلامية.

المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية والمترجمة

-الزبيدي، أبو بكر. **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤.

-السيرافي، أبو سعيد. **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه الزيني ومحمد خفاجي، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٦.

-السيوطي، جلال الدين. **بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩.

-القفطي، جمال الدين. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤.

-جاسك، آدم. **تقاليد المخطوط العربي: معجم ومصطلحات وبيليوغرافية**، ترجمة: مراد تدغوت، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ط١، ٢٠١٠.

-ديروش، فرانسوا. **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان، ط٢، ٢٠١٠.

-رمضان، عبد التواب. **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٥.

-سيبويه، عمرو بن عثمان. **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.

ثانيا: المراجع الأجنبية

-Derenbourg Hartwig. *Les manuscrits arabes de l'Escurial*, Paris: librairie de la société Asiatique, 1884.

- Derenbourg Hartwig. *Le livre de Sībawayhi*. Traité de grammaire arabe, par Sīboūya, dit Sībawayhi. Paris: imprimerie national, Tome 1. 1881, Tome 2. 1889.

-Déroche François, *Le livre manuscrit arabe: prélude à une histoire*, Paris: Bibliothèque nationale de France, 2004.

-Humbert Geneviève, *Un témoin fossile du Kitāb de Sībawayhi*, Développements récents en linguistique arabe et sémitique, Dir. George Bohas, Damas : Études arabes, médiévales et modernes, 1993.

-Humbert Geneviève. *Le Kitāb de Sībawayhi d'après l'autographe d'un grammairien Andalou du 12ème siècle*, Le manuscrit arabe et la codicologie, Coordonné par A. C. Binbine, Rabat: Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, 1994.

-Humbert Geneviève. *Le Kitāb de Sībawayhi et l'autonomie de l'écrit*. Arabica, T. 44, Fasc. 4, Voix et Calame en Islam Médiéval, Oct, 1997.

-Humbert Geneviève. *Les voies de la transmission du Ktāb de Sībawayhi*, Leiden: E. J. Brill, 1995.

-Humbert Geneviève. *Remarques sur les éditions du Kitāb de Sībawayhi et leur base manuscrite*, Studies in history of arabic grammar 2, Amsterdam/Philadelphie, 1990.

-Monique Bernards. *al-Mubarrad's refutation of Sībawayh and the subsequent reception of the Kitāb*. Leiden : E. J. Brill, 1997.

-Troupeau Gérard. *Lexique-index du Kitāb de Sībawayhi*, Paris: Editions Klincksieck, 1976.

Alancing epistemic and codicological requisites in receptions of Sibawayhi's Book in Western studies: A perspective on Geneviève Humbert's work.

Abstract:

The works of the researcher Geneviève Humbert play a central role in shaping an awareness of the need for a new reception of Sībawayh's book in the light of the pivotal role that codicology could play in reconstructing the ideal version of this seminal book. Humbert's research involves an extensive and accurate codicological and paleographic study of Sībawayh's manuscript. In fact, more than seventy versions of the manuscript coming from different parts of the globe were investigated. Humbert subjected these numerous versions of the manuscript to a historical classification, thus scrutinizing the interrelationships existing between different versions based on their similarities and differences at the level of the text and the different relayed versions of the book in circulation in different Arabic and Islamic contexts. Humbert's primary objective was to pursue possible pathways conducive to a scientifically accepted original text of Sībawayh's book. The findings of her research are extremely important and actually involve high stakes for the field of Arabic grammar. This is especially true since her conclusions about Sībawayh's book, which has been critically edited by the eminent Arabic grammarian ʿAbd al-salām Hārūn and originally edited in the occident by Hartwig Derenbourg, indicate that the book as we know it today might be different from its original form. This finding in particular questions the credibility of the scientific and academic conclusions in Arabic grammar built on the scholarship around the aforementioned central versions of Sībawayh's book, as well as their offshoots.This calls for an urgent critical re-editing of Sībawayh's book through the lens of Codicology. However, this task seems unattainable due to the stark dearth of codicological scholarship and studies in research about manuscripts in Arab countries.